# فضائل القرآن الكريم
# تراثه ، وأهمية استثماره

أ. د. خالد فهمي(*)

## ١ - فضائل الذكر الحكيم : قيمة لا حدود لها

لقد استقر يقينا أن الذكر الحكيم هو القلب الذي نبض فأحيا به الله أمة متميزة في تاريخ الإنسانية الطويل، نزل فدبت روح بعثت العالم من موات حقيقي، وارتقى به من درك الحيوانية إلى قريب من درجة الملائكية!

وفضائل القرآن الكريم تعبير دال على ما يتميز به النص الحكيم من خصائص وحسنات تكشف عن منزلته ومكانته التي يتمتع بها إجمالا على مستوى النص كله ، وتفصيلا على مستوى مفاصل هذا النص، ومكوناته الجزئية من الأجزاء والأحزاب والأرباع ، أو السور والآيات، أو الترتيب والتناسب، إلخ.

وقد تنبهت الحركة العلمية الإسلامية لهذا الباب من العلم فأولته عنايتها، وتفننت في تفريع فوائده، وتشقيق القول في هذه الفضائل وتوزيعها على مكونات النص المادية، حتى طال الحديثُ أصغَر هذه المكونات المتمثلة في حروفه، ورسمه أو خطه، ونقطه، وضبطه.

لقد كانت القيمة المنفتحة لمفهوم الفضائل المحيطة بالذكر الحكيم نتاجًا طبيعيًا لما استقر فى النفس المسلمة من تقدير منزلة هذا الكتاب الحكيم ، وتقدير أثره الجوهري والمحوري والمؤسس في وجود أمة متمايزة ، وسمت فى التاريخ باسم الأمة الإسلامية ؛ لأنه هو الذي أعطاها ماهية تشكلها وقيامها، لقد كان الذكر الحكيم بمثابة نفس الصباح الذى انتقل بالأمة من الغياب إلى تمام الحضور المتألق.

## ٢ - فضائل القرآن الكريم : التراث الممتد!

٢/١ ـ يوشك – في رأيي- أن يكون الحديث عن فضائل القرآن الكريم هو المقدمة الطبيعية للتعامل مع النص الحكيم، وأبالغ فأقرر أن التصنيف فى فضائل الذكر الحكيم هو المقدمة لظهور ما سُمِّيَ باسم جامع فيما بعد هو علوم القرآن، بمعنى أن التنصيف في علوم القرآن كان هو التطور لمبحث فضائل القرآن الكريم في الحضارة الإسلامية،

---

(*) كلية الآداب ـ جامعة المنوفية.

و هذا الرأي الذى اخترعه له ما يدعمه و يسوغه؛ وفيما يلي محاولة لرصد بعض ما يدلل على ذلك:

أولا- قِدَم ظهور مصنفات فضائل الذكر الحكيم، إذ يعود تاريخ أقدم هذه المصنفات إلى القرن الثاني الهجري، فقد نسب إلى الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ) رضي الله عنه أنه من أوائل من صنف في فضائل القرآن الكريم.

هذا بالإضافة إلى ما جاء في مدونات الحديث النبوي الشريف المبكرة من أبواب جمعت أحاديث فضائل الذكر الحكيم.

ومن العجيب الذي ربما يدعم ذلك أن أقدم ما وصل إلينا من مصنفات علوم القرآن الجامعة، وهو كتاب (الجامع علوم القرآن) لعبد الله بن وهب بن مسلم أبي محمد المصري (١٢٥-١٩٧هـ) برواية سحنون بن سعيد (١٦٠-٢٤٠هـ) افتتح بباب الترغيب، وهو لفظ مرادف في التسمية بفضائل القرآن.

ثانيًا- تضمن مصنفات فضائل القرآن الكريم كثيرًا من مباحث علوم القرآن المختلفة التي تطورت وصارت فيما بعد علومًا مستقلة من علوم هذا النص الكريم المبهج، فقد ورد في كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) فصول حول رسم المصحف وتأويل القرآن الكريم، ولغاته، وإعرابه، ونزوله وبيان منازله، وقد تطورت هذه المباحث مع الزمن واستقلت في مصنفات خاصة، فضلا عن انضوائها مفاصل أساسية في كتب علوم القرآن الموسوعية، كالبرهان للزركشي، والإتقان للسيوطي والمناهل للزرقاني .

وهذان المسوغان يصلحان من وجهة نظرنا دليلاً على القول بأن الحديث في فضائل القرآن الكريم هو المقدمة الطبيعية التي تطور عنها علوم القرآن الكريم، أو هو ما يمكن أن نعبر عنه بعبارة أخرى أكثر وضوحًا تقرر بأن مبحث فضائل القرآن هو علوم القرآن الكريم في صورتها الأولية المبكرة .

وهو رأي أرجو أن يأخذ حقه من المناقشة والفحص والمراجعة من قبل المختصين في علوم القرآن الكريم.

### ٢/٢ - التصنيف في فضائل القرآن الكريم : تراثًا و منهجًا

اتخذ التصنيف في فضائل القرآن الكريم أشكالا متنوعة، مختلطة منضوية تحت عدد من العلوم، ومستقلة بذاتها فى تصانيف خاصة، ويمكن إجمالها في المخطط التالي:

أولا- التصنيف في فضائل القرآن الكريم في إطار من علوم أخرى.

ثانيا- التصنيف في فضائل القرآن الكريم في إطار من الاستقلال.

وقد اعتنت فضائل القرآن الكريم بمجموعة من علوم إسلامية متنوعة بحكم ارتباطها بالذكر الحكيم و علوم الإسلام جميعًا ؛ فظهرت عناية خاصة بهذا المبحث في الميادين التالية :

١-كتب التفسير على اختلاف مناهجها، حيث رأت هذه التفاسير أن الحديث عن فضائل الذكر الحكيم مقدمة منهجية لازمة قبل الأخذ فى التفسير، لما تقدم هذه الفضائل من تهيئة البيئة للمتلقي لتفهم مسارات التفسير، ولا سيما أن عددًا من مباحث هذا الفرع المعرفي توجهت لبيان فضائل كل سورة على حدة مما يعين على تفهم مقاصد الذكر الحكيم وغاياته، وهو بعض أهم ما يرمي إليه كل مفسر من وراء نشاطه التفسيري .

٢-مدونات الأحاديث النبوية الشريفة، ذلك أن أهم ما رآه هؤلاء المحدِّثون هو الارتباط بين محور الرسالة (المتمثل في النص الخالد) ووظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم المتمثلة في البيان و البلاغ لهذا النص الخالد.

٣- مصنفات الببليوجرافيا التراثية (كتب تصنيف العلوم) حيث اهتمت هذه الكتب بحكم طبيعتها بالتعريف بالمصنفات العربية الإسلامية في العلوم المختلفة، ومنها التعريف بفضائل القرآن الكريم، ومصنفاته، وذكر بعض ما احتوته .

٤- الكتب الموسوعية في علوم القرآن، ذلك أن فضائل القرآن الكريم استحال منذ بدايات الكلام فيه إلى باب أصيل من أبواب هذه العلوم القرآنية، مما حدا بأصحاب الكتب الموسوعية في علوم القرآن أن يعقدوا فصولا لذكر هذه الفضائل .

٥- كتب أخلاق حَمَلَة القرآن الكريم، وهى الكتب التى تفرغت لبيان ما ينبغي أن يتحلى به المشتغلون بالقرآن الكريم من القراء والمقرئين وغيرهم ، وهو ما نجد أمثلة له فى مثل: كتاب «أخلاق حَمَلَة القرآن» للآجرى البغدداي ٣٦٠هـ، حيث افتتح كتابه بمقدمة كاشفة عن فضائل الذكر الحكيم أوردها سابقة للفصل الأول من كتابه الذى تحدث عن فضل حَمَلَة القرآن، وقد استغرقت المقدمة إحدى عشرة صفحة (من ٣١-٤١)، وكذلك فعل النووي ٦٧٧هـ في كتابه «التبيان في أخلاق حملة القرآن» حيث افتتح كتابه بالباب الأول في (أطراف من فضيلة تلاوة القرآن).

أما فيما يتعلق بالمصنفات المستقلة في فضائل القرآن الكريم، فقد ظهر أنها قديمة جدًا يرجع بدء التصنيف فيها إلى القرن الثانى الهجري، وقد صنع يوسف عثمان فضل الله جبريل قائمة بها في مقدمة تحقيقه لكتاب فضائل القرآن الكريم، للفريابي (ص٢٣-٢٦).

سنشير إليها إجمالا، ثم نعود فنفرد ما وصل إلينا، وحقق ونشر على الناس بفضل بيان:

١-فضائل القرآن ، للشافعي سنة ١٥٠هـ.

٢- فضائل القرآن، لابن أبي شيبة سنة ٢٠٧هـ.

٣- فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام سنة٢٤٤هـ.

٤- فضائل القرآن، لخلف بن هشام ٢٢٩هـ.

٥- فضائل القرآن، لحفص بن عمر ٢٤٦هـ.

٦- فضائل القرآن، لابن مزين ٢٥٩هـ.

٧- فضائل القرآن، لأحمد بن المعذل ق ٣ .

٨- فضائل القرآن، لابن الضريس ٢٩٤هـ.

٩- فضائل القرآن، للفريابي الصغير ٣٠١هـ.

١٠- فضائل القرآن، للنسائي ٣٠٣هـ.

١١- فضائل القرآن، للسجستاني ٣١٠هـ.

١٢- فضائل القرآن، لابن حداد ٣٤٤هـ.

١٣- فضائل القرآن، للطالقاني ٣٨٥هـ.

١٤- فضائل القرآن، للنسفي٤٣٢هـ.

١٥- فضائل القرآن، للهراوي ٤٣٤هـ.

١٦- فضائل القرآن، للرازي ٤٥٤هـ.

١٧- فضائل القرآن، للتجيبي ٥٥٠هـ.

١٨- فضائل القرآن ، للخشاب ٥٦٧هـ.

١٩ فضائل القرآن، للمقدسي الغافقي ٦٤٣هـ.

٢٠- فضائل القرآن، لابن عبد السلام المقدسي ٦٧٨هـ.

٢١- فضائل القرآن، لابن كثير ٧٧٤هـ.

٢٢- فضائل القرآن، للكتاني ٨٥٢هـ.

٢٣- فضائل القرآن، لابن سلطان الهروي ١٠١٤هـ.

٢٤- فضائل القرآن، لمحمد هاشم السندي ١١٧٤هـ، وهو ما أخلت به قائمة يوسف عثمان فضل الله جبريل.

٢٥- فضائل القرآن، للسمان ١١٨٩هـ.

والقائمة المذكورة المختصرة هنا مع قيمتها وأهميتها يظهر عليها :

أ- أنها ناقصة، بدليل ما أضيف إليها هنا تحت رقم (٢٤).

ب- أنها ناقصة المعلومات فيما يخص المطبوع المحقق من هذه الكتب .

ج- أنها مختلطة، بمعنى أنها ضمت مصنفات ليست فى الفضائل .

و فيما يلى بيان بما وصل إلينا من تراث فضائل القرآن الكريم، وعرف طريقه للنشر بعد تحقيقه :

١-فضائل القرآن ومعالمه و آدابه ، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ٢٢٤هـ ، وقد حققه الأستاذ أحمد بن عبد الواحد الخياطي، ونشرته وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م في مجلدين، ثم حققه مراون العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، ونشرته دار ابن كثير، بدمشق سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م في مجلد واحد.

٢- فضائل القرآن، وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن الضريس البجلي سنة ٢٩٤هـ، وقد حققته الأستاذة غزوة بدير، ونشرته دار الفكر بدمشق، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣-فضائل القرآن، وما جاء فيه من الفضل وفى كم يقرأ، والسنة في ذلك ، لأبي بكر جعفر محمد بن الحسن الفريابي سنة ٣٠١هـ ، وقد حققه الأستاذ يوسف عثمان فضل الله جبريل، ونشرته مكتبة الرشد بالرياض، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

٤- فضائل القرآن، لأبي الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي الدمشقي، وقد

حققه الأستاذ محمد أنس مصطفى الخن، ونشرته مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٤٢٨هـ.

٥-هبة الرحمن الرحيم من جنة النعيم في فضائل القرآن الكريم، لمحمد هاشم السندي ١١٧٤هـ، حققه الأستاذ محمد شكور محمود الحاجي أمرير المياديني، ونشرته مكتبة المنار، بالزرقاء بالأردن، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

وقد صنف أصحاب هذه الكتب كتبهم وفق ما يمكن أن نسميه بمنهج المحدِّثين، بمعنى أنهم رتبوها على فصول أو أبواب متجانسة جمعوا في كل فصل أو باب منها الأحاديث المندرجة في موضوع كل منها.

وهذا المنهج الذي يضع للفصل أو الباب عنوانًا جامعًا لموضوعه ثم تورد تحته الأحاديث الخادمة له- منهج قديم وضعه المحدثون أصحاب الصحاح والسنن وهو منهج يجمع بين أمرين، هما :

١-النظر الفقهي أو الموضوعي،وهو الذي يلخصه عنوان الباب أو الفصل أو ما يسمى باسم ترجمة الباب ، وهو ناشئ من نظر المصنف واستنباطه العقلي من مجموع ما تحت يده من أحاديث يجمعها باب واحد.

٢-الرواية أو جمع الأحاديث التى تشكل باجتماعها بابًا واحدًا.

ولعل ذلك راجع إلى أن أوائل الذين صنفوا في هذا الباب من العلم كانوا من المحدِّثين من أمثال أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي سنة ٢٤٤هـ، وابن الضريس البجلى ٢٩٤هـ، والفريابي سنة ٣٠١هـ، وغيرهم.

هذا بالإضافة إلى انتشار التقدير لمنهج الرواية في التأليف العلمي عند المسلمين بتأثر من منهجية التحديث التي رسخ أقدامها الاشتغال بعلم الحديث النبوي الشريف.

وفيما يلي بيان ما يتعلق بالبناء الداخلي لهذه الكتب، فقد حكمها جميعًا منهج يسير على قدمين يفتتح كل مؤلف كتابه بأبواب في عموم ذكر فضائل القرآن الكريم إجمالا، ثم يعود فيفرد أبوابًا في ذكر الفضائل الجزئية التي تختص ببعض ما في القرآن الكريم، ومما يوضح ذلك ويؤكده أن أبا عبيد القاسم بن سلام افتتح كتابه بالأبواب التالية :

١-باب فضل القرآن، وتعلمه وتعليمه.

٢-باب فضل قراءة القرآن والاستماع إليه.

٣-باب فضل الحض على القرآن والإيصاء به، وإيثاره على ما سواه.

٤-باب فضائل اتباع القرآن، وما في العمل به من الثواب وما في تضييعه من العقاب.

وهي كما تبدو أبواب عامة ترعى فضل التعامل مع الكتاب الكريم كاملا، ثم يعود فيذكر أبوابًا خاصة في فضائل كل سورة على حدة.

وفي داخل كل باب يكتفي المصنف بإيراد الأحاديث بسلسلة سندها، مما يفهم منه تعلقها بهذا الكتاب أو ذاك، ومن أمثلة ذلك ما ورد في أول أبواب كتاب الفريابي، الذي عنوانه : باب فى فضل القرآن وقراءته، حيث ذكرت الأحاديث التالية مرتبة:

١- عن عقبة بن عامر الجهني أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: لو كان القرآن في إهاب (أي قلب) ما مسته النار".

٢- عن عائشة قالت ، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يتتعتع فيه له أجران".

٣- عن عثمان بن عفان قال : "أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه".

٤- عن ابن مسعود قال :" إن هذا القرآن شافع مشفَّع، وماحل مصدَّق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار".

٥- عن عقبة بن عامر قال : "القرآن حجج فلكم أو عليكم"، وهكذا في كل باب من دون تدخل من المصنف.

ومن هنا يظهر لنا أن منهجية بناء هذه الكتب جميعًا اعتمدت ما يلى:

أولاً - وضع ترجمة (عنوان) للباب أخرجه المصنف بنظره فى الأحاديث، واستنبطه من تأمله ودرسه لها.

ثانيًا- إيراد الأحاديث الخاصة بموضوع الباب تحت الترجمة (العنوان) الذى استخرجه منها، من طرقها المختلفة، وهو ما يؤدي إلى تكرار عدد كبير من الأحاديث في الباب الواحد بسبب اختلاف الرواة.

ثالثًا-وفى بعض الأحيان يتدخل المصنف فيعلق على شيء مما ورد فى بعض الأحاديث، غالبًا ما تتوجه إلى توجيه معنى جاء غامضًا أو غريبًا من وجهة نظره، وهذا

أمر قليل ليس عامًا فى كل المصنفات، وأكثر من فعل ذلك كان أبو عبيد القاسم بن سلام، ثم ابن كثير الدمشقي الذي كان يتوسع أحيانًا ببيان بعض المسائل العلمية التي تتعلق ببعض الأحاديث.

رابعًا- وفى بعض هذه الكتب ظهرت عناية بالحكم على الأحاديث، وبيان درجتها وكان ابن كثير أظهر من فعل ذلك، واعتنى أبو عبيد القاسم بن سلام ببعض من ذلك.

**٣ - فضائل القرآن الكريم : مقال فى الوظائف و الاستثمار**

إن فحص تراث فضائل القرآن الكريم يعكس بشكل عام الحفاوة البالغة التي لا حدود لها التي وجهها علماء الأمة إلى نص الكتاب الكريم، وحياطتهم له بكل صنوف الرعاية التي أنتجت صورًا بديعة كثيرة مادية لتحقيق تكريمه وتعظيمه ، وتيسيره للناس جميعًا.

وفيما يلي محاولة للوقوف أمام عدد من الوظائف التي ظهرت من دراسة هذا التراث النبيل الذي حشد فضائل الذكر الحكيم، وهي وظائف متنوعة من الممكن استثمارها فى أكثر من مجال فى الحياة المعاصرة :

**أولا- الوظيفة التعبدية**

نزل الذكر الحكيم و أمر المسلمين جميعًا بصنوف من التعلق به تلاوة، واستماعًا، وتأملا وتدبرًا، وعملا وتطبيقًا، وحذر تحذيرًا ظاهرًا من هجر أي من هذه العبادات المرتبطة به .

وتراث الفضائل القرآنية تقدم محصولا وفيرًا يحيط هذه الأعمال التكليفية جميعًا بالبيان، وتبين منزلة متعاطيها، وتجلو ما ينبغي أن يلتزمه المتعبدون فى تعاملهم مع هذا النص الكريم؛ لأجل ذلك فإن النصوص التي جمعها تراث فضائل القرآن الكريم مفيدة فيما تقدمه للمتعبدين من تهيئة وتوضيح لما يحيط بهذا النص الكريم من خصائص، وسمات. والارتباط بالنص الكريم بعد بيان منزلته وسماته مؤثر جدًا فى طبيعة هذا الارتباط، ومؤثر في نفسيات المتعبدين، ذلك أن لكل عبادة جوها النفسي، وتهيئتها الخاصة التي تمهد للدخول فيها. ومعرفة فضائل الذكر الحكيم، وما يترتب على الإقبال عليه من ثواب مثمر جدًا في عوائده على القراء والمتدبرين والعاملين.

إن وعي المرتبطين بالذكر الحكيم بنصوص الفضائل يخلق حالة من حالات التهيئة النفسية التي تقوم مقام التمهيد، لتخضع الجسم، وتتهيأ النفس لاستقبال عبادة التعامل

معه بطرق العبادة المختلفة ، وتستهين بمشقات التكليف المحيطة بالتعبد به.

إن القارئ الذى يجد مشقة فى التلاوة لأي غرض يحتاج إلى مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم(١): "والذى يقرأ القرآن وهو يشتد عليه فله أجران "ذلك أن أمثال هذا الحديث تبعث في النفس المسلمة نشاطًا يعين على الاستهانة بأعباء التكاليف ومشقاتها المرتبطة بقراءة الذكر الحكيم، والصبر على هذه الأعباء الناشئة من التلاوة ؛ لأي سبب كان.

وهذه النصوص تمثل طاقة تحفيزية تلزم أجواء التعبد، وهو بعض ما تقوم به نصوص تراث فضائل القرآن الكريم من تهيئة الجو الروحى الباعث على الإفادة من الذكر الحكيم.

ثانيًا- الوظيفة التربوية التعليمية

من المستقر أن الإسلام يرى في بعض تصويره لوظيفة النبوة على الأرض أنها تحمل رسالة تعليمية، وهو بعض ما يفسره ويدعمه قول النبي صلى الله عليه و سلم عن نفسه : بعثت معلمًا!

ومن هنا فإن تراث مصنفات الفضائل القرآنية يحتوي مادة ظاهرة الخطر فيما يسمى بالوظيفة التربوية التعليمية، يمكن التقاطها وتركيزها فى المحاور الإجمالية التالية :

١- حاجة العملية التعليمية إلى التحفيز و التهيئة النفسية، وهو ما تؤديه نصوص كثيرة من هذا التراث النبيل.

٢- يظهر فحص هذه المصنفات منهجية تتدرج من العموميات إلى الخصوصيات وهو بعض ما تقرره برامج التربية في عدد من مقررات أصول التربية.

٣- تضم مصنفات هذا الفرع العلمي عددًا من الإجراءات و الأساليب العملية التي يمكن استثمارها في بعض حقول التربية، من مثل التربية اللغوية.

من مثل :

أ- أثر تكرار النطق بالعبارة في عملية الاكتساب اللغوي.

ب- أثر القراءة بالصوت المرتفع في استقامة اللسان.

ج- أثر النظر في المكتوب في عمليات تعلم اللغة.

(١) في فضائل أبي عبيد ص ٤٨، حديث ٧ .

### ثالثًا - الوظيفة المعرفية

يحتفظ تراث فضائل القرآن الكريم بمادة وفيرة حول طبيعة الذكر الحكيم، وتاريخ العناية بأبعاده المادية ، رسمًا وتقسيمًا، كما يحتوي مادة وفيرة تلزم المتعاملين معه تفسيرًا له واستنباطًا منه.

ومن الممكن تلخيص ما يقدمه هذا التراث من معرفة لازمة تعين على تدبره وتفسيره فيما يلي:

١- المعرفة التاريخية بالعناية بالنص، فقد احتوى كثير من مصنفات هذا التراث أبحاثا تتعلق بتقسيمه، ورسمه، وضبطه، ونقطه، وتزيينه وتحليته، ففي فضائل أبي عبيد القاسم بن سلام باب نقط المصاحف، وباب تعشير المصاحف؛ أي وضع علامة بعد كل عشر آيات، وباب تزيين المصاحف و تحليتها، وباب كتاب المصاحف أي كتابتها، وما يستحب من عظمها ويكره من صغرها .

وهذا الباب المهم فى كل تفكير للعناية المادية بالمصحف سعيًا نحو تيسير تلاوته على الناس، وتعلمه، تؤنس المجتمع العلمي والفقهي في اتخاذ القرارات المناسبة نحو كل ما من شأنه تعظيم المصحف، وتيسيره معًا.

٢-المعرفة المعينة على تفسير النص الكريم، فقد احتوى كثير من مصنفات هذا التراث مادة علمية وفيرة معينة على تفسيره، والكشف عن مقاصده، وغاياته الكلية والجزئية، ذلك أن هذه المصنفات ضمت فصولا كثيرة عن مقاصد السور تفصيلا، وضمت فصولا كثيرة عن مناهج الصحابة فى تدبره، والعمل بما فيه.

٣- المعرفة المعينة على تجويده، وهو ما يظهر من المادة التي تصف كيف أداه الصحابة، وتحملوه ؟ وكيف حاطوه بالرعاية، وعلَّموا الأجيال من بعدهم، وقننوا قواعد تلاوته وتجويده، وأرسوا أخلاق التعامل معه من جوانبه كافة، الأمر الذى كان مقدمة مهمة لظهور علوم التجويد والقراءات.

### رابعًا - الوظيفة اللسانية

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، مما أسهم في ترقية العلوم اللسانية أو اللغوية عند العرب، كأنما أوجدها من عدم، وخلقها قوية ناضجة مبهرة، وقراءة تراث فضائل القرآن يكشف عن منهجية مستقرة فى التربية اللغوية، صالحة فى تطوير برامج تعلم اللغة واكتسابها وترقيتها.

وقد سبق لي أن كتبت عن ملامح منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التربية اللغوية للصحابة، وعن أثر مجالس الإقراء في العصر النبوي في التربية اللغوية للصحابة، وكشفت فيما كتبته عما تضمه هذه المصنفات من مادة علمية خصبة تتعلق بهذه الوظيفة، يمكن إيجازها فيما يلي:

١- فى نصوص الأحاديث الواردة فى تراث فضائل القرآن أحاديث تصنع تهيئة نفسية لازمة للتربية اللغوية.

٢-تدريب النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة على النطق الصحيح.

٣- التحفيز على السماع، وبيان أثره فى عملية التربية اللغوية .

٤- تشجيع برامج القراءة بصوت مرتفع، وهو أمر مقرر في التربية اللغوية، ظاهر النفع و الجدوى.

٥- تنوع مجالس الإقراء في العصر النبوي، وأثر ذلك في التربية اللغوية.

٦- بيان أهمية تبين الحروف ، وتفصيل النطق بها وامتداح ذلك .

٧- الأمر ندبًا باستصحاب النظر في المصحف المكتوب في أثناء عمليات الإقراء.

وهذه كلها مفردات مبثوثة في هذا التراث العلمي المعجب، نافعة في باب تعلم اللغة، وترقيتها، وتنمية ملكتها عند أبنائها.

**خامسًا- الوظيفة الحضارية**

ضمت مصنفات فضائل القرآن الكريم فصولا عديدة تدور حول طرق كتابة المصحف، وخصائص خطه، ونقطه، وضبطه، ووضع علامات للوقوف والتجزئة، وهو الأمر الذى طور من علم الرسم بفروعه المختلفة، وهوالأمر الذي يعكس وعي الغرب بأبحاث علم اللغة الخطي.

كما كانت للفصول الخاصة بتزيين المصحف وتحليته أثر واضح فى القيم الجمالية البصرية الناشئة من التأنق في تزيين ورقه، وتنويع ألوان مداده، والتأنق في زخرفة السور الذي يحيط بالآيات في كل صفحة، مما أسهم فى تطوير الفنون التشكيلية الخادمة لزينته، وتطوير المفردات الفنية: النباتية، والهندسية، واللونية، مما أسهم فى خلق أبعاد فنية يصح أن تستقل علمًا برأسه خاصًا بزينة المصاحف، وتحليتها تعاطيًا مع متطلبات الذائقة الجمالية البصرية عن طريق العناية بالمفردات الفنية التالية :

أ- العناية بالتشكيل الجمالي للخط أو الرسم العثماني، ونسب كتابة الحروف، وتناسق الأسطر والهوامش.

ب- العناية بالتشكيل اللوني، والمراوحة في استعمال الألوان المختلفة في الكتابة والضبط.

ج- العناية بالتشكيل الجمالي الزخرفي للعناصر غير الكلامية في صفحات المصحف المختلفة من تشكيل الأسوار، وعلامات العشور، وافتتاح السور زخرفيًا.

وفي كتب فضائل القرآن الكريم فصول كاملة تمثل مهادًا صالحًا للتأريخ لجماليات العناية المادية بالمصحف في الحضارة الإسلامية .

## خاتمة

ولا تزال نصوص فضائل الذكر الحكيم ذات أثر ملهم في غير مجال علمي يحتاجها العصر الحديث، وطاقات استثمارها متنوعة وافرة المسارات؛ يحتاجها علماء التربية في تصميم الكتب التعليمية، من اختيار حجم الخطوط، وطرق تزيينها للناشئة لخلق الارتباط بها، ويحتاجها علماء اللغة فيما ينتشر فيها من برامج تطبيقية ارتقت بلسان القراء الذين ألَّفوا حول الذكر الحكيم، وقام رجال من جيل الصحابة ومن بعدهم يقعِّدون القواعد لإتقان قراءته وضبطها وتصحيحها؛ ويحتاجها أهل الفنون ودارسوها لتعينهم على فحص النظرية الجمالية والفنية التي خلقها تاريخ العناية بتزيين المصحف، وتحليته.

لقد كان نزول القرآن الكريم حدثًا جبارًا فى تاريخ الإنسانية بوجه عام، وفي تاريخ الأمة العربية بوجه خاص، وكان ظهور علم فضائل هذا الكتاب الكريم بمثابة طلوع الصبح بعد ليل طويل، جاء الذكر، وظهرت فضائله، فتنفست الدنيا، وأشرق صبحها بعد طول غياب وإظلام.

وقد كشف فحص هذا التراث عن عدد من النتائج نوجزها فيما يلي:

**أولا**- اختلطت قوائم مصنفاته بغيرها مما ليس فيها، وظهرت الحاجة إلى استكمالها، والاستدراك عليها.

**ثانيًا**- اقترحت الورقة أن يكون مبحث فضائل القرآن هو المبحث الأوَّلي الذي تطور فيما بعد ليكون علوم القرآن، أو في فضائل القرآن هى علوم القرآن في النسخة الباكرة.

**ثالثا**- كشفت الورقة أن منهجية بناء كتب فضائل القرآن امتداد للمنهجية الحديثة الفقهية، التي تورد الأحاديث والآثار التي يجمعها نسق معرفى واحد تحت عنوان جامع.

**رابعًا**- كشف فحص كتب فضائل القرآن الكريم عن عدد من الوظائف المستقرة توزعت على الوظائف التعبدية الروحية، والمعرفية، واللسانية، والحضارية الجمالية، والتربوية التعليمية، وكشف تأملها عن إمكان استثمارها وصلاحيتها حتى العصر الذي نعيشه.